

دولة ليبيا

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة الأسمرية الإسلامية

كلية الآداب

عنوان البحث

مفهوم فلسفة اللغة عند ابن حزم الأندلسي
دراسة تحليلية مقارنة

إعداد

الدكتور : فيصل صلاح الرشيدي

العام الجامعي ٢٠١٣-٢٠١٤م

المقدمة

نحمدك اللهم ونستعينك ونستهديك ونسلم على رسولك الذي آتته الحكمة وفصل الخطاب ،
وعصمته من الزلل وألهمته الصواب .

أما بعد

اللغة من أكرم النعم التي أسبغها الله على الإنسان في خلقه ، وجعلها خاصته التي تميزه عن غيره من مخلوقات الحياة ، فهي سبيل اتصاله بمحيط أسرته وهي القلب الذي تفرغ فيه الأمة أفكارها ومفاهيمها وثقافتها .

***ولقد كانت هناك دوافع كثيرة دفعتني لاختيار هذا الموضوع بصفة خاصة وهي ما يلي :-**

- إن موضوع الجانب اللغوي عند ابن حزم دراسة تحليلية مقارنة يتناول الجوانب المضيئة في دراسة اللغة عند ابن حزم من خلال مؤلفاته الخاصة مثل كتاب الإحكام في أصول الأحكام ، والفصل في الملل و الأهواء والنحل ، وطوق الحمامة ، والتقريب لحد المنطق .

- إن هذه الدراسة تتناول موضوعات حيوية عند ابن حزم في مجالات علم اللغة مثل حد اللغة مميزات علم اللغة ، نشأة اللغة ، ميتافيزيقا اللغة ، كل هذه الدراسات نطلق عليها فلسفة اللغة .
-تبرز هذه الدراسة تميز ابن حزم في الدراسات اللغوية لأنه كان أديباً ودقيقاً في اختيار الألفاظ والعبارات وبعدها عن التعقيد ، وكيفية اهتمامه بفقہ اللغة أي تطبيقاتها وتخصصاتها .

- وقد اتبعت في هذا البحث :-

أ-المنهج الوصفي في تحليل ومعرفة اللغة عند ابن حزم ، واستخدامه في تفضيل اللغة العربية.

ب-المنهج النقدي واستخدامه في نشأة اللغة هل هي توقيفية أم اصطلاحية .

ج- المنهج المقارن في مقارنة اللغة العربية بغيرها من اللغات المختلفة.

د- المنهج التاريخي لتحديد الفترة الزمنية لنشأة اللغة في عصر ابن حزم ، والاهتمام بدراسة اللغة العربية في القرن الرابع الهجري ، وتاريخ مولده ، ووفاته .

***وينقسم هذا البحث الي مقدمة وخاتمة وثلاث مباحث هي :-**

المبحث الاول- اسمه ومولده - ثناء العلماء عليه - أخلاقه - شيوخه - مؤلفاته - وفاته .

المبحث الثاني- الاهتمام بالجانب اللغوي في القرن الرابع الهجري أي عصر ابن حزم - حد اللغة .

المبحث الثالث- مشتاقات علم اللغة عند ابن حزم - وميتافيزيقا اللغة عنده .

***وأخيرا الخاتمة.**

وإن جهد ابن حزم اللغوي ظهر في تقنين أصول اللغة ، ووضع الضوابط الضرورية لها .
ومن ثم تطبيقها على النصوص الوثائق اللغوية، من خلال تصنيفاته للغة مثل علم النحو والشعر
* ولقد توجهت هذه الدراسة البحث في أصل اللغة وعلاقتها بالعلوم الأخرى عند ابن حزم
وكذلك إشكالية أصل ونشأة اللغة ، وميتافيزيقا اللغة عنده وعلاقتها بالمذهب الظاهري .
* وتبرز هذه الدراسة كيفية استخدام المنهج النقدي عند ابن حزم في دحض القائلين بالتواضع
والاصطلاح مستخدما الأدلة النقلية ، من القرآن الكريم لإثبات أن اللغة توقيفية .
وكذلك استخدام المنهج التحليلي في اللغة عند ابن حزم ، ويتجلى ذلك في علاقة المنطق بالنحو
وعلاقة اللغة بالفكر وعلاقتها بالمجتمع ، وأيضاً في تطبيقات علم اللغة أي فقه اللغة .
* أخلاقه – رحمه الله - :-

* ((قال الدكتور عبد الحليم عويس : أبرز أخلاق ابن حزم صفتان تتفرع عنهما كل
سلوكياته ما قبله الناس وما لم يقبلوه وهما وفاؤه وتدينه ويحكي هو لنا عن وفائه
فيقول ابن حزم الظاهري: ولقد منحني الله - عز وجل - من الوفاء لكل من يمت
إلى بلقية واحدة ، ووهبني من المحافظة لمن يتزمم مني ولو بمحادثه ساعة حظاً أنا له
شاكر وحامد ، ومنه مستمر ومستزيد ، وما شيء أثقل على من الغدر))^(٢)
اسمه ومولده وصفته:-

((هو الإمام الحافظ ، أبو حجر محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح ،
أصل جده من فارس ، اسلم وخلف المذكور ، وهو أول من دخل المغرب منهم وكانت بلادهم
قرطبة فولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة))^(١)

(١) البداية والنهاية ابن كثير تحقيق مكتب التراث ، بيروت لبنان ، بدون طبعة ، الجزء ١٢ ، ١٩٩٣ م ، ص ١١٣ .

(٢) سير اعلام النبلاء ، الذهبي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ، الطبعة الحادية عشر ، ١٩٩٦ م ، ص ١٨٧ .

وقال الإمام أبو القاسم صاعد بن أحمد : ((كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم
الإسلام ، وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ، ووفور خطه من البلاغة والشعر))^(١)

(٢) تراجم أعلام السلف ، د. أحمد فريد ، دار الإيمان الإسكندرية ، والطبعة الثانية ، ٢٠٠٧ م ، ص ٥٦١ .

*ثناء العلماء عليه :

((قال أبو حامد الغزالي : وجدت في أسماء الله تعالى كتاباً ألفه أبو محمد بن حزم الأندلسي يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه))^(٢).

وقال الإمام أبو القاسم صاعد بن أحمد : ((كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام ، وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ، ووفور خطه من البلاغة والشعر))^(١).

* مؤلفاته - رحمه الله - :

ثمة إجماع بين المؤرخين على أن ابن حزم من أكثر أهل الإسلام تصنيفاً ، ويؤكد هذه الحقيقة التاريخية تلميذ ابن حزم صاعد ((له كتاب الأحكام في أصول الأحكام في غاية التقصي وإيراد الحجج ، وكتاب ((الفصل في الملل والأهواء والنحل)) وكتاب في الإجماع وماسائله على أبواب الفقه)) وغيرها من الكتب الكثيرة .

* وفاته : ((وفي ليلة الاثنين ٢٨ من شعبان منه ٤٥٦ هـ - ١٥ يوليو ١٠٦٤ م وبعد حياة حافلة بالإنتاج العلمي والجدال في سبيل الحق، والصدق في الإيمان، توفي ابن حزم بعد عمر يبلغ اثنين وسبعين سنة))^(٣)

- أولاً :- الاهتمام بالجانب اللغوي في القرن الرابع الهجري وهو عصر ابن حزم يقولدي بور ((كان علماء المسلمين في القرن العاشر الميلادي الرابع الهجري)) (٤) يقسمون العلوم إلى علوم عربية وإلى علوم الأوائل أو العلوم العربية ، وكان من الأولى عندهم علوم اللسان * والفقه ، والكلام والتاريخ^(١)، ويؤكد دييور على الاهتمام بعلم اللغة حيث يقول ((كان للعرب

^(١) تراجم أعلام السلف ، د. أحمد فريد ، مرجع سابق ، ص ٥٦١.

* علوم اللسان : علم اللسان في الجملة ضربان :

- أحدهما - حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما وعلم ما يدل عليه شيء منها .

- والثاني - علم قوانين تلك الألفاظ .

والقوانين في كل صناعة : أقاويل كلية ، أي جامعة ينحصر في كل واحد منها أشياء كثيرة مما تشمل عليه ثلث الصناعة ، حتى يأتي على جميع الأثنياء .

(٤) تاريخ الفلسفة في الإسلام ، أدبي بور ، ترجمة د. محمد أبو ريدة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م ، ص ٥٥

(إحصاء العلوم : الفارابي قدم له وشرحه د. علي بوملحم ، دار ومكتبة الهلال ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ م ، ص ١٧ .

^(١) تاريخ الفلسفة في الإسلام ، أدبي بور ، ترجمة ، د. محمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م ، ص ٥٥.

شغف خاص بلغتهم ، وكانت هذه اللغة بما حوت من كثرة في المفردات * ، ووفرة في صور التعبير ، وبما في طبيعتها من قبول للاشتياق خليفة أن تتبوأ مكانها بين لغات العالم))^(٢)
* ثانياً حد * اللغة عند ابن حزم :-

فيما سبق تحدثنا عن الاهتمام باللغة وفروعها في القرن الرابع الهجري وهو عصر ابن حزم والآن نتحدث عن تعريف علم اللغة عند ابن حزم فيقول عن اللغة : ((أَلْفَاظٌ يَعْبُرُ بِهَا عَنِ السَّمَاتِ وَعَنِ الْمَعَانِي الْمُرَادِ إِفْهَامَهَا وَلِكُلِّ أُمَّةٍ لُغَتُهُمْ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ))(سورة إبراهيم الآية ٤. ٣)

من النص السابق يتضح لنا أن ابن حزم يستنبط علم اللغة من القرآن الكريم باعتباره من الرعيل الأول ، لذلك يقول ابن العجاج وهو من فقهاء علم اللغة ، عن مميزات الرعيل الأول في دراسة اللغة ((فقد اتجه الرعيل الأول ، من العلماء إلى جمع اللغة من ثلاثة مصادر رئيسية :

أولها : القرآن الكريم : فقد أقبل العلماء منذ البداية على جمع مفردات القرآن الكريم وتحديد معانيها.

وثانيهما: ما ورد في الشعر * الذي يحتج به من جاهلي وإسلامي وفيه كثير من الغريب والثالث : سماع الأعراب في البادية ، وكثيراً ما كانوا يخرصون إليها ، ويمضون الأعوام

(إحصاء العلوم : الفارابي قدم له وشرحه د، على بوملحم، دار ومكتبة الهلال ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م ، ص ١٧ .
^(١) تاريخ الفلسفة في الإسلام ، أدبي بور ، ترجمة ، د.محمد عبد الهادي أبو ريده ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م ، ص ٥٥ .

* المفردات : وأما المفرد ، فعبارة عن ما يدل على معنى ، جزء له يدل على معنى أصلاً حتى يقال هو جزؤه كالإنسان والفرس ونحوهما (كتاب المبين في شرح الألفاظ الحكاء والمتكلمين ، والأمدى ، تحقيق د.عبد الأمير الأعسم ، دار المناهل للطباعة الطبقة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص ٤٨ .
^(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥ .

* حد اللغة قال أبو الفتح ابن جني في خصائص : حدُّ اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، وقال ابن الحاجب في مختصره : حد اللغة : كلُّ لفظٍ وضيفٍ لمعنى وقال الأسنوي في شرح منهاج الأول : اللغات : عبارة عن الألفاظ الموضوعه للمعاني .
المزهر في علم اللغة وأنواعها - السيوطي تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك وآخرين ، دار التراث ، القاهرة ، ج ١ ، الطبعة الثالثة ، ص ٨٢٧ .

^(٣) الإحكام في أصول الأحكام ، ابن حزم الأندلسي ، تحقيق د.محمود حامد عثمان ، ج ١ ، ص ٦١ .
* الشعر : يقول ابن حزم ((هذه صناعة قال فيها بعض الحكاء : كل شيء يزينه الصدق إلا الساعي والشاعر ، فإن الصدق يشينهما فحسبك بما تسمع ، وقال المتقدمون : الشعر كذب ولهذا منعه الله نبيه صلى الله عليه وسلم وقال تعالى (وما علمنه الشعر وما ينبغى)سورة يس الآية ٦٩ وأخبر تعالى أنهم يقولون مالا يفعلون ، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الإكثار منه .
رسائل ابن حزم ، تحقيق د.حسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ج ٤ الطبعة الثانية ، ١٩٨٧م ، ص ٣٥٤ .

فيها، ويخالطون الأعراب ، وقد كثر ذلك في العهد الأموي إلى العصر العباسي الأول ما بعده^(١)

ويمضي ابن حزم في تعريف علم اللغة من خلال البيئة العربية حيث يقول :- ((وأما علم اللغة فالإلى ما سمع أيضا من العرب بنقل الثقات المقبولين أن هذه هي لغتهم))^(٢) وللغة عند ابن حزم تعبر عن الألفاظ والمسميات والمعاني ، ويستدل على ذلك بالأدلة النقلية فيقول ((اللغة يعبر عن المسميات والمعاني * المراد إفهامها ولكل أمة لغتهم قال عز وجل (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) سورة إبراهيم: الآية ٤ ولا خلاف في أنه أراد اللغة))^(٣).

والقرآن الكريم عند ابن حزم هو أساس اللغة نظراً لدلالات الإعجاز الكثيرة فيه ، ويقول عنه أ.جلال العشري في كتابه (حقيقة الفلسفات الإسلامية) ((وذهب ابن حزم أن الله منع من معارضته فقط ، وحال بين الناس وبين ذلك ، وكساه الإعجاز وسلبه جميع الخلق ، وأن قليله وكثيرة معجز لأن الله تحدى العرب أن يأتوا بسورة من مثله))^(٤) ، وعن حد اللغة يقول ابن حزم ((وعلم اللغة: مسموع كله فقط))^(٥)، وهناك دلائل الإعجاز للجرجاني لمن يريد الإطلاع. * مشتقات علم اللغة عند ابن حزم :-

من أهم مشتقات علم اللغة التي نستخدمها في حياتنا اليومية ، علم النحو * وعلم العبارة* ويعرف لنا ابن حزم علم النحو فيقول ((وأما علم النحو فالإلى مقدمات محفوظة عن العرب الذين نريد معرفة تفاهمهم للمعاني بلغتهم ، وأما العلل فيه مفسدة جداً))^(٦).

^(١) اللغة في أراجيز رؤية بن العجاج ، تحقيق ، د. عمر عبد المولى ، منشأة المعارف الإسكندرية ، بدون طباعة ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ،^(٧) اللغة في أراجيز رؤية بن العجاج ، تحقيق ، د. عمر عبد المولى ، منشأة المعارف الإسكندرية ، بدون طباعة ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ،

^(٢) رسائل ابن حزم ، تحقيق د. إحسان عباس ، ج٤ ، مصدر سابق ، ص ٣٤٩. * المعاني : هي الصور الذهنية من حيث إنه وضع بإزائها الألفاظ والصور الحاصلة في العقل ، فمن حيث إنها نقصر باللفظ سميث معنى ، ومن حيث إنها تحصل من اللفظ في العقل سميث مفهوماً ، ومن حيث إنه مقول في جواب ما هو سميث ما هية ، ومن حيث ثبوته في الخارج سميث حقيقة ومن حيث امتياز عن الأغيار سميث هوية (التعريفات - الجرجاني - تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م ، ص ٢١٨.

^(٣) رسائل ابن حزم ، تحقيق د. إحسان عباس ، ج٤ ، مصدر سابق ، ص ٤١١.

^(٤) حقيقة الفلسفات الإسلامية ، أ.جلال العشري ، دار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١ ، ص ٨٩.

^(٥) رسائل ابن حزم ، ج٤ ، مصدر سابق ، ص ٤١١. * علم النحو : ((هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء ، وغيرها ، وقيل : النحو علم يعرف بأحوال العلم من حيث الإعلال ، وقيل : علم أصول يعرف بها صحة الكلام وفساده)) التعريفات ، الجرجاني ، ص ٢٣٦.

^(٦) علم العبارة ((هي النظم المعنوي المسوق له الكلام ، وسميت عبارة لأن المستدل يبرهن النظم إلى المعنى (الجرجاني ، ص ١٤٩).

^(٧) رسائل ابن حزم ، ج٤ ، مصدر سابق ، ص ٣٤٩.

وفي مكان آخر يتحدث ابن حزم عن أقسام علم النحو حيث يقول ((وعلم النحو ينقسم إلى مسموعه القديم وعلله المحدثه))^(١) بعد أن تحدث ابن حزم عن علم النحو وأقسامه يتحدث عن علم العبارة باعتباره أحد مشتقات علم اللغة فيقول ((وأما علم العبارة : فهو طبع في المعبر مع عون العلم عليه . ولا يقطع بصحته إلا بعد ظهور ذلك عليه لا قبله))^(٢)

* نشأة علم اللغة عند ابن حزم :-

فيما مضى تحدث ابن حزم عن حد اللغة ، واستنباط اللغة من القرآن الكريم ، ومشتقاته علم اللغة بعد ذلك يتحدث عن أهم النظريات اللغوية في نشأة اللغة ، وهما نظرية الموافقة والإصطلاح ((وقد عنى ابن حزم بهذا الموضوع ، وكانت له فيه آراء قيمة تدل على مدى فهمه العميق لأهمية اللغة ، وقد انقسمت الآراء على كثرتها ، في هذا الموضوع منذ منتصف القرن الرابع الهجري وما بعدها قسمين :-

١- فذهب قوم أن اللغة اصطلاح ومواضعه ، وكان معظم هؤلاء من المعتزلة الذين فسروا كل شيء مما ينسجم ومنطق العقل .

٢- وذهب آخرون إلى أن اللغة توقيفيه وإلهام من الله ، وفي مقدمة هؤلاء أحمد بن فارس وإلى مثل هذا أيضاً يذهب ابن جنى في كتاب الخصائص^(٣)

* موقف ابن حزم من نظرية الاصطلاح في اللغة :

يبين ابن حزم هذه النظرية في كتابه الإحكام في أصول الأحكام في الجزء الأول من الباب الرابع ويضع لها عنواناً حيث يقول ((في كيفية ظهور اللغات أعن توقيف أم عن اصطلاح ؟

* المعتزلة :- ويسمون اصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعملية وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركا ويطلق علي من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى . (الملل والنحل ، الشهرستاني ، تخريج الأستاذ محمد بن فتح الله ، مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م ص ٤٩

(١) رسائل ابن حزم ، الجزء الرابع ، ص ٧٩

(٢) المصدر السابق ص ٨١

* ((نشأة اللغة تعني واضع اللغة ، أتوقيف هي وحي ، أم اصطلاح وتواطوا ، قال أبو الحسين أحمد بن فارس في فقه اللغة : أعلم أن لغة العرب وتوقيف ، ودليل ذلك قوله تعالى : جَاءَ قَوْمًا مِّنْ أَهْلِ الْأَرْضِ هَدَاةً مِّنْ رَبِّهِمْ ، وقال ابن جنى في الخصائص وكان هو شيخه أبو علي الفارسي معتزليين ، قال ابن جنى أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحي ولا توقيف)) المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، السيوطي ، ج ١ ، ص ٨٠-١٠٠ .

(٣) الأخلاق والسياسة عند ابن حزم ، صلاح رسلان ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، دبت ، ص ٨٢ .

((^(٤)) والآن نفضل القول في رأي ابن حزم بقوله إن اللغة توقيفية حيث يقول :- ((والصحيح من ذلك أصل الكلام توفيق من الله - عز وجل بحجة سمع وبرهان ضروري))^(٥).

ويستدل ابن حزم على أن اللغة توفيقية من خلال الحجج والبراهين :-

- فالحجة الأولى عنده :-

وهي حجة السمع حيث يقول :- ((فأما السمع فقول الله عز وجل - **﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾**)) سورة البقرة الآية ٣١.^(١)

* الحجة الثانية :-

وهذه الحجة يستخدمها ابن حزم للرد على من يقول بنظرية الاصطلاح وهي الضروري فيقول ((وأما الضروري بالبرهان : فهو أن الكلام لو كان اصطلاحاً لما جاز أن يصطلح عليه إلا قوم قد كملت أذهانهم وتدريب عقولهم ، وتمت علومهم ، ووقفوا على الأشياء كلها الموجودة في العالم وعرفوا حدودها وانفاقها واختلافها ، وطبائعها ، وبالضرورة نعلم أن بين أول وجود الإنسان وبين بلوغه هذه الصفة سنين كثيرة جداً يقتضي في ذلك تربية وحياطة وكفالة))^(٢) ويقول عن توقيفية اللغة أيضا ((فالذي اكتمل له الذهن والعلم بالأشياء الموجودة في العالم وعرف حدودها وطبائعها آدم* عليه السلام ، هبه وعطاء من الله عز وجل فهو الذي علمه الباري بعلم من لدنه لقوله تعالى **﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾** سورة البقرة: الآية ٣١))^(٣)

- رفض ابن حزم القول بأن نشأة اللغة ترجع إلى الطبيعة* :

يرفض ابن حزم أن تكون نشأة اللغة نتاج الطبيعة لأن الطبيعة واحدة والسبب في ذلك :

أ- يهمل ابن حزم الطبيعة إهمالاً تاماً لعجزها عن التعبير والحقيقة .

^(٤) الأحكام في أصول الأحكام ، ابن حزم الأندلسي ، ج ١ ، ص ٤٤ .
^(٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١) الأحكام في أصول الأحكام ، ابن حزم الأندلسي ، ص ٤٥ .
(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

* آدم معجزة آدم فبق لسانه في مفتتح نبوته بما لم تعلمه الملائكة على خلاف مجرى العادة . وكان مفتتح المعجزات ومختتمها في آدم ومحمد عليهما السلام بالكلام ، وقيل : علم الله تعالى آدم الأسماء على جميع اللغات التي تكلم بها أولاده . (كتاب الملة ونصوص أخرى ، الفارابي ، تحقيق محسن مهدي ، دار المشرق ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠١ ، ص ٩٨ .)

^(٣) الأحكام في أصول الأحكام ، ابن حزم الأندلسي ، ج ١ ، ص ٤٥ .
* نشأة اللغة من الطبيعة (يذهب : أصحابها إلى أن اللغة نشأة من الأصوات الطبيعية إلى التعبير عن الإنفعالات ، وأصوات الحيوان ، وأصوات مظاهر الطبيعة ، وارتقت تبعاً لارتقاء العقلية الإنسانية وتقدم الحضارة واتساع نطاق الحياة الاجتماعية وتعدد حاجيات الإنسان (الفيلسوف اللغوية والألفاظ العربية ، جرجي زيدان ، تعليق دمراد كامل ، دار الهلال ، ١٩٦٩ م ، ص ٥٨ .)

ب- الطبيعة والحقيقة من صنع الله ، وأن الباري هو الذي يعلم الإنسان .
ج- والسبب الرئيسي لرفض ابن حزم للطبيعة لأنه يقول بنظرية أن اللغة توقيفية من عند الله سبحانه وتعالى ، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى هو الذي علم آدم الشجر والدواب والسهول والجبال .

لذلك يقول :- ((وضح أن ما علم من ذلك مما هو مبتدأ من عند الخالق تعالى .

مما ليس في الطبيعة معرفته ، دون تعليم فلا يمكن البتة معرفته إلا بعلم علمه الباري إياه ، ثم علم هو أهل نوعه ما علمه ربه تعالى)) (١).

ويؤكد ابن حزم على أن اللغة ليست من الطبيعة بل هي اصطلاح حيث يقول:- ((فإن الاصطلاح على وضع اللغة لا يكون إلا بعلم متقدم بين المصطلحينعلي وضعها بإشارات قد اتفقوا علي فهمها وذلك الاتفاق على فهم تلك الإشارات لا يكون بكلام ضرورة ومعرفة حدود الأشياء وطبائعها التي يمر عنها بألفاظ اللغات لا يكون إلا بكلام وتفهم لابد من ذلك ، فقد بطل الاصطلاح على ابتداء ولم يبقى إلا أن يقول قائل : إن الكلام فعل الطبيعة)) (٢).

من خلال النصوص السابقة لابن حزم يتبين لنا أن أدلته قوية ومتمينة لذلك يقول عنه الأستاذ.وديع واصف الصافي في كتابه موقف ابن حزم من الفلسفة والمنطق والأخلاق ((واللافت للنظر أن الكلام عندابن حزم مرتبط أوثق ارتباط بالمعرفة ، بل أن اللغة عنده هي المعرفة * ونحن كثير فانون ، لا تستطيع خلق هذه المعرفة ، وبما أن من المستحيل على الإنسان أن يعيش من غير معرفة فلا بد من وجود إله خالق فاعل وهذا يعني أن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق اللغتمعرفة وعلمها للإنسان)) (٣). هذا هو تفسير إبن حزم في نشأة اللغة التوقيفية

* أصل اللغات عند ابن حزم :-

(١) الإحكام في أصول الأحكام ، ابن حزم الأندلسي ، ج١ ، ص ٤٥ .

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة

* المعرفة ما وضع ليدل علي شيء بعينه وهي المضمرات والإعلام ، إدراك الشيء علي ما هو عليه وهي مسبوقه بجهل بخلاف

العلم (التعريفات- الجرجاني ، ص ١١٨ .

(٣) موقف ابن حزم من الفلسفة والمنطق والأخلاق ، وديع واصف الصافي ، ص ٢٦٩ .

يرى ابن حزم أن اللغات تعود في الأصل إلى لغة واحدة وهي السريانية* حيث يقول :- ((وإذا
تيقنا ذلك فالسريانية أصل للعربية وللعبرانية معاً ، والمستفيض أن أول من تكلم بهذه العربية .
- إسماعيل - عليه السلام - فهي لغة ولده .
- والعبرانية* لغة إسحاق ولغة ولده.
- والسريانية بلاشك هي لغة إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - بنقل الاستفاضة الموجبة لصحة
العلم)).(١)

ويقول جرجي زيدان عن السريانية ((كانت لغة واحدة ستعلم منها أمة واحدة تحت لواء واحد
وأنها بعد أن قُدر للناطقين بها الفراق أخذت تنتوع تبعاً لمقتضيات أحوال كل فريق منهم))(٢).
ويستمر ابن حزم في تفسيره لأصل اللغات ، ويبين بأنها توقيفية من عند الله سبحانه وتعالى ،
ويضع قانون لها بمعنى أن كل لغوي عندما يريد أن يصرف لفظ لابد أن يأتي بنص من القرآن
الكريم لكي يبرهن علي ذلك فيقول (فلا يحل لأحد صرف لفظة معروفة المعنى في اللغة عن
معناها الذي وضعت له في اللغة التي بها خاطبنا الله تعالى في القرآن إلي معنى غير ما
وصفت له إلا أن يأتي بنص قرآني أو كلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إجماع عن
علماء الأمة كلها))(٣).

ويرجع ابن حزم أصل اللغات كلها إلى الله تعالى فيقول ((قال أبو محمد فنقول وبالله تعالى
التوفيق أن التسمية والحكم ليس إلينا وإنما هما إلى خالق اللغات وخالق الناطقين بها وخالق
الأشياء ومرتبها كما شاء لا إله إلا هو قال عز وجل منكرأ علي من سمي من قبل
نفسه(أَتَجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ)سورة الأعراف: الآية
٧١ وقال تعالى (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) سورة الإسراء: الآية ٣٦(٤)

*السريانية : ((كانت لغة واحدة تتكلم بها أمة واحدة تحت لواء واحد ، وإنما بعد أن قدر للناطقين بها الفراق أخذت تنتوع لمقتضيات
أحوال كل فريق منهم وهذا الاختلاف قد جرى على ناموس الإبدال))(الفلسفة اللغوية ، جرجي زيدان ، ٦١).

*العبرانية : قد امتازت هذه بحفظها التاريخ القديم كما سبقت الإشارة ويكون الناطقين لأهم أوضح الأهم منشأ واللغة التي يتكلم بها
الإسرائيليون اليوم العبرانية صرفاً، بل خلطها بعض الألفاظ الآرامية أو الكلدانية أثناء أسره عند البابليين ومحور ما ألف في هذه اللغة
إنما هو العهد القديم ، ويتفرغ منها الفينيقية والقرطاجنية)) (الفلسفة اللغوية ، جرجي زيدان ص ٣٢)
(١) الإحكام في أصول الأحكام ، ابن حزم الأندلسي ، ج ١ ، ص ٤٧ .
(٢) الفلسفة اللغوية ، جرجي زيدان ، ص ٦١ .
(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ، ج ١ ، ص ٤٠٩ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١١٠ .

-ميتافيزيقا* علم اللغة عند ابن حزم :

من الموضوعات الميتافيزيقية التي تختص باللغة عند ابن حزم وهى لغة :-

- أهل الجنة .

-ولغة أهل النار .

ونلاحظ أن ابن حزم لا يتحدث عنهما إلا عن طريق النص والإجماع*، وكان المغزي الميتافيزيقي في هذه النظرية اللغوية التي تطرق إليها ، هو المهمة الفلسفية الكبرى ، حيث يقول ((وأما لغة أهل الجنة وأهل النار فلا علم عندنا إلا ما جاء في النص والإجماع في ذلك إلا أنه لا بد لهم من لغة يتكلمون بها ولا يخلو ذلك ، من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها))^(١).

١- إما أن تكون لهم لغة واحدة من اللغات القائمة بيننا الآن .

٢- وإما أن تكون لهم لغة غير جميع هذه اللغات .

٣- إما أن تكون لهم لغات شتى .

تكون هذه المجاورة التي وضعها الله تعالى توجب القطع بأنهم يتفاهمون بلغة إما بالعربية المختلفة في القرآن عنهم أو بغيرها مما الله تعالى أعلم به^(١)

ويتحدث أيضاً عن لغة الأنبياء: فيقول ((فاقضي أن موسى وجميع الأنبياء عليهم السلام ، كانت لغتهم العربية لأن كلامهم محكي في القرآن عنهم بالعربية فإن قلت :هذا كذبت ربك ، وكذبك ربك في قوله (مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)سورة إبراهيم الآية:٤ فصح إن الله تعالى إنما يحكى لنا معاني كلام كل قائل في لغته باللغة التي بها نتفاهم لبيبين لنا عز وجل ، فقط حروف الهجاء واحدة لاتفاضل بينها))^(٢)

* أهم الجوانب الميتافيزيقية عند ابن حزم في علم اللغة :

*ميتافيزيقا : يرجع لفظ ما بعد الطبيعة أو ميتافيزيقا إلى أحد أتباع أرسطو اسمه أندورنيقوس وقد عنى بترتيب كتبه ، فوجد لواحد ثلاثة أسماء ، هي الحكمة ، والفلسفة الأولى ، والعلم الإلهي ، لاشتماله على ثلاث مباحث كبرى ، أولها مبادئ المعرفة إطلاقاً ، والثاني الأمور العامة لوجود الثالث الألوهية رأس الوجود (المعجم الفلسفي ، دمراد وهبه وآخرون ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، ص٤٥١).

* (رسائل ابن حزم ، ج٤ ، ص٤٠٩).

*الإجماع : الإجماع في اللغة هو ما اتفق عليه اثنان فصاعداً ، وهو الاتفاق ، وهو حنيند ، مضاف إلى من أجمع عليه ، وأما الذي تقوم به الحجة في الشريعة فهو ما نتيقن أن جميع الصحابة رضي الله عنهم رانوا به عن نبيهم - صلى الله عليه وسلم وأما ما لم يكن إجماعاً في الشريعة فهو ما اختلفوا فيه باجتهادهم وسكت بعضهم عن الكلام فيه (رسائل ابن حزم ، ج٤ ، ص٤٠٩).

^(١)الإحكام في أصول الأحكام ، ابن حزم ، ج١ ، ص٤٩.

^(٢)المصدر السابق ، نفس الصفحة .

من اهم الجوانب الميتافيزيقية عند ابن حزم هي :-

١- التفاضل بين اللغات بعضها عن بعض .

٢- لغة أهل النار .

وفي ذلك يقول (وقد أوعي بعضهم أن اللغة العربية هي لغتهم) واحتج بقول الله عز وجل (دَعَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَجْرٌ دَعَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) سورة يونس: الآية ١٠ أفقلت له :فقل أنها لغة أهل النار ،لقوله تعالى عنهم أنهم قالوا (أَنْ أَيْضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ) الأعراف: ٥٠ ولأنهم قالوا (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) سورة الملك الآية ١٥ (١)

*العلاقة بين المذهب الظاهري والميتافيزيقا في علم اللغة عند ابن حزم الأندلسي :

ولكي يبرهن ابن حزم علي أصول المذهب الظاهري* نجد أنه يرفض التأويل أو تخريج النصوص عن معناها، لذلك يقول عنه الاستاذ صلاح الدين بسيوني في كتابه (الأخلاق والسياسة عند ابن حزم):- (ومن هنا كان تشدده في رفض أي تأويل* أو تخريج للنصوص أو إحالة لها عن معناها إلى معنى آخر. أو المراد باللغة الإفهام والتوضيح لا الإشكال والتعمية، ووجب علينا بالتالي أن نلزم الأصل الذي هو اختصاص كل معنى بإسمه دون أن يشاركه فيه غيره ومن هنا أيضاً تجلت خلاصة اللغة الميتافيزيقية والدينية في معانيها الظاهرية المباشرة لها^(٢) ونجد أن خلاصة اللغة الميتافيزيقية والدينية عند ابن حزم تتمثل في المعني المباشر للألفاظ المعاني والحروف حيث يقول ((ولا يحل لأحد أن يحيل آية عن ظاهرها ولا خبراً عن ظاهرة لأن الله تعالى يقول **چ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** **چسورة الشعراء**: الآية ١٩٥. وقال تعالى **نَمَا لِلْقَوْمِ چ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ چسورة المائدة** الآية ١٣ . ومن أحوال نصاً عن ظاهرة في اللغة بغير

(١)الإحكام في اصول الأحكام , ابن حزم , ج ١ , ص ٤٩
*المذهب الظاهري :فينسب إلى مؤسسه (داود علي الأصبهاني) الذي أظهر القول بظهيرية الشريعة وأخذ الأحكام من ظواهر النصوص من غير تعليل لها فهو بذلك أول من إنتحل الظاهر ،ونفى القياس من الأحكام قولاً واطر إليه فعلاً (خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري د. عبد القادر رحيم الهيتمي ، جامعة قاريونس ، ط الثانية - ١٩٩٣ م ص ٢٨
(٢)الأخلاق والسياسة عند ابن حزم ، صلاح الدين بسيوني ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، بدون ج ١ ، ص ٧٣ .

برهان من آخر* أو إجماع فقد ادعى: أن النص لابيان فيه . وقد حَرَّفَ كلام الله تعالى ووحيه إلي نبيه صلي الله عليه وسلم عن موضعه وهذا عظيم جداًم أنه لو من هذه الكبائر لكان مدعيًا (بلا دليل) ((^٣) ، ومن هذا النص يتضح لنا أن اللغة الميتافيزيقية عند ابن حزم مرتبطة بمذهبه الظاهري ، لأن الطريقة الظاهرية عند ابن حزم كالتريقة النحوية يجب اخذ النصوص بمعناها الظاهري لأن خلاصة اللغة الميتافيزيقية والدينية تكمن في المعنى المباشر للمعنى الظاهري ، إذا العلاقة وثيقة بين ميتافيزيقا اللغة ومذهب ابن حزم الظاهري .

الخاتمة

* مما سبق يتضح لنا أن ابن حزم كان جده فارسيًاومسقط رأسه قرطبة .
* من خلال المجالات الحيوية التي تناولها ابن حزم في دراسة اللغة، يتبين لنا أنه كان عالماً من أعلام اللغة ، وله نصيب وافر من علم النحو واللغة ويتميز ببلاغة العبارة ودقة الأسلوب .
* يؤكد ابن حزم علي أهمية تعريفات اللغة في حياتنا اليومية ، لذلك نقول أن جهد ابن حزم اللغوي ظهر في تقنين أصول اللغة ، ووضع الضوابط لها من خلال مؤلفاته الخاصة .
* لقد تناول ابن حزم مشتقات اللغة مثل علم النحو والعبارة والشعر والبلاغة .
* قسم ابن حزم نشأة اللغة إلى قسمين وهما اللغة التوقيفية واللغة الاصطلاحية وشرحهما بالتفصيل ، وأثبت بأن اللغة توقيفية إي أنها من عند الله سبحانه وتعالى .
* من أهم الجوانب الميتافيزيقية لدراسة علم اللغة عند ابن حزم بأنه يفسر لغة أهل الجنة ولغة أهل النار فذكر أن آدم عليه السلام كانت لغته في الجنة العربية فلما عصى سلبه الله العربية فتكلم بالسريانية ، فلم تاب رد الله عليه العربية .

*التأويل: (التأويل مشتق من الأول وهو في اللغة الترجيح ، تقول أوله إليه رجعه،وقال ابن رشد : ((التأويل)) إخراج دلالة للفظ من الحقيقة إلي الدلالة المجازية من غير أن يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء)) (المعجم الفلسفي -د.جميل صليبا - ج١، ص١٢٤) .
(^٣)النبذه الكافية في أحكام أصول الدين ، ابن حزم ، تحقيق أ. محمد حسن عبد العزيز ، بيروت ، لبنان ، ص ١٥ .

* لقد استفاد ابن حزم من دراسة اللغة في تأسيس منهجه العلمي وفي الدفاع عن مذهبه الظاهري

* وفي نهاية هذا البحث سيتبين لنا أن ابن حزم نظر إلى اللغة على أساس أنها كيان مستقل لا يمكن تجزئته وعزل عناصره ، وعلى يديه صار موضوع علم اللغة الوحيد الصحيح هو اللغة معتبرة بنائها ومن أجل ذاتها ، وأنه استفاد من اللغة لبيان قيمة منهجه العلمي في مناقشة العقائد المختلفة التي سادت الساحة الفكرية الإسلامية في عصره ، لاعتقاده المذهب الظاهري .

*تناول ابن حزم نشأة اللغة عند المعتزلة وذكر ذلك بالتفصيل في كتابه الإحكام في أصول الأحكام ، بقولهم أن اللغة إصطلاحية لأن اللغات لا تدل على مدلولاتها كالدلالة العقلية .
*من الجدير بالذكر أن ابن حزم يتفق مع أبو الحسين أحمد بن فارس على أن اللغة توقيفية ويستدل على ذلك من خلال الأدلة النقلية لقوله تعالى (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)سورة البقرة: الآية . ٣١ .

*بعد استعراض آراء ابن حزم في ميثافيزيقا اللغة نجد أنه تحدث عن لغة أهل الجنة ولغة أهل النار ، وتحدث أيضا عن لغة الأنبياء .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

* القرآن الكريم .

١. إحصاء العلوم : الفارابي قدم له وشرحه د. علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال ،بيروت ،لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م.

٢. الأحكام في أصول الأحكام ، ابن حزم الأندلسي ، تحقيق د.محمود حامد عثمان ، ج ١ .

٣. الأخلاق والسير ، ابن حزم ، تحقيق ايضا رياض ، دار ابن حزم ، بيروت ، للبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .

٤. الأصول والفروع ، ابن حزم ، تحقيق ، د.عاطف العراقي وآخرون ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م
٥. البداية والنهاية ، ابن كثير ، تحقيق مكتب التراث ، بيروت ، لبنان ، بدون طبعه ، ج١٢ ، ١٩٩٣م .
٦. التعريفات - الجرجاني - تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م
٧. رسائل ابن حزم ، تحقيق د.احسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ج٤ ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧م .
٨. سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، تحقيق د.شعيب الأرنؤوط وآخرين ، الطبعة الحادية عشر ، ١٩٩٦م .
٩. الصاحبى في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها ، أحمد بن فارس .
١٠. طوق الحمامة، تحقيق أبو المنذر سعد كريم الفقي، دارابن خلدون، الإسكندرية، بدون طبعه
١١. الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ، المطبعة الأدبية ، الطبعة الأولى ، ج٣ ، ج٤ ، ١٣١٧هـ
١٢. كتاب المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين ، والآمدي ، تحقيق د.عبد الأمير الأعم ، دار المناهل للطباعة، الطبقة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
١٣. اللغة في أراجيز رؤية بن العجاج ، تحقيق ، د.عمر عبد المعطى ، منشأة المعارف الإسكندرية ، بدون طباعة ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .
١٤. المزهر في علم اللغة وأنواعها ، السيوطي ، تحقيق الاستاذ :محمد أحمد جاد المولى بك وآخرين ، دار التراث ، القاهرة ، ج١ ، الطبعة الثالثة .
١٥. النبذة الكافية في أحكام أصول الدين ، ابن حزم ، تحقيق أ. محمد أحمد عبد العزيز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
١٦. الملل والنحل ، الشهرستاني ج١ ، تخريج الاستاذ محمد ابن فتح الله ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م .
- المراجع :-
١. ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ، د. عبد الحلیم عويس ، الزهراء للإعلام العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

٢. الأخلاق والسياسة عند ابن حزم ، د.صلاح الدين بسيوني، مكتبة نهضة الشرق ،جامعة القاهرة ، بدون ج ١ ، بدون طبعه.
٣. تاريخ الفلسفة في الإسلام ، أ.دي بور ، ترجمة ، د.محمد عبد الهادي أبوريده ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.
٤. تراجم أعلام السلف ، د.أحمد فريد ، دار الإيمان الإسكندرية ، والطبعة الثانية ، ٢٠٠٧م.
٥. حقيقة الفلسفات الإسلامية،أ.جلال العشري، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٩٩١م
٦. خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري ، د.عبد القادر رحيم ، جامعة قاريونس ، الثانية ، ١٩٩٣ م .
٧. الفكر المنطقي الإسلامي ، دراسة في جهود ابن حزم الأندلسي ، د.محمد فرحات ، منشورات ، مكتبة شام ، بدون طبعة ، ١٩٨٨م ، العراق .
٨. الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ، د.جرجي زيدان ، تعليق د.مراد كامل ، دار الهلال ، ١٩٦٩م .
٩. كتاب الملة ونصوص أخرى ، الفارابي ، تحقيق د.محسن مهدي ، دار المشرق ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠١ .
١٠. المعجم الفلسفي ، د.جميل صليبا ، الشركة العالمية للكتاب ، ج١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١١. المعجم الفلسفي ، د.مراد وهبه وآخرون ، القاهرة ، ١٩٦٦م .
١٢. موقف ابن حزم من الفلسفة والمنطق والأخلاق ، الأستاذ .وديع واصف الصافي مصطفى ، المجمع الثقافي ، الإمارات العربية المتحدة ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .